دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، صيف ۱۳۹۸، العدد الثانی والأربعون: صص ۹۵- ۱۱۱

دراسة نقدية تلقی الضوء علی شعر الجواهری حول حزب البعث

رحيم انصاری پور*

تاريخ الوصول: ۹۷/۱۲/۱۰
تاريخ القبول: ۹۸/۲/۱۸

الملخص

تناولت هذه الدراسه النقدية لشعر محمد *مهدی الجواهری* حول حزب البعث الكافر الذی عاش فی زمن مخاض الحوادث والتطورات السياسية التی مرت علی العراق بدءً من ثـورة العشرين وانتهاءً بحزب البعث. وبحكم العلاقة الوطيدة بين *الجواهری* وقادة البعث فالمدح والتمجيد لهم كانت من مضامين شعره فلا يغيب عن أی قضـية تخـص البعـث دون أن يلتفت إليها أو يشير بها أو يدافع عنها *فالجواهری* وإن كان شيعياً ومن عائلة عريقـة فـی العلم والأدب والدين لكنه نسی شعبه وهمـومهم وظلـم هـذا الحـزب الكـافر. فالتمجيـد والمدح للبعثيين فی الشعر *الجواهری* يعود إلی الطبيعة المزاجية العنيفة التی تمتاز بهـا شخصيته. فلذلک لمسنا الحاجة الماسة لتناول شعره ولاسيما إنَّ الدراسات التی تناولـت *الجواهری* وشعره تفتقد الموضوعية فكثيراً ما كتب عنه فی العالم العربی والاسلامی يبرز فيه إنحياز وتقليد فالمديح تلی المديح وتمجيد فی غير موضـعه، صـحيح إنَّ *الجـواهری* شاعر كبير ولكن له عثرات لا تغتفر ولو قلنا أكثر قصائده فی تمجيـد الملـوک والرؤسـاء ربما كان لكسب الشهرة والتملق والأموال ككثيراً من الشعراء ما ظلمناه.

الكلمات الدليلية: شعر الجواهری، البعث، المدح، العلاقة.

* أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة آزاد الاسلامية فرع إيلام. raheemansaripour@yahoo.com

المقدمة

تطرقت هذه الدراسة لشعر *الجواهری* حول حزب البعث الكافر فی العراق، عاش محمد *مهدی الجواهری* فی زمن مخاض الحوادث والتطورات السياسية فی العهدين الملكی والجمهوری الذی مر علی العراق، بدءً من ثورة العشرين بقيادة علماء الدين وعلی رأسهم المرجع الدينی محمد *تقی الشيرازی* وإنتهاءً بحزب البعث الكافر وصدام حسين، وكان *للجواهری* مواقف سلبية تجاه علماء الدين والحركة الاسلامية المعاصرة وفتوی *السيد محسن الحكيم* حول الإنتماء إلی الحزب الشيوعی ومواقف إيجابية، ومدح وتمجيد للملوک والرؤساء والمد الأحمر الشيوعی الذی سيطر علی الشارع العراقی فی عهد *عبدالكريم قاسم*. وكان لابد *للجواهری* إن يكون وطنياً غيوراً مدافعاً عن إستقلال بلده وحريته من سلطة البعث الغاشم لأنه سليل عائلة عراقية عربية وعريقة مناضلة إشتهرت بوطنيتها ومواقفها الكفاحية المعروفة جيداً فی النجف وفی عموم العراق؛ فوالده(رحمه الله) كان من الوطنيين الأحرار الذين قاوموا الإستعمار البريطانی وأخوه جعفر فقد قضی شهيداً وهو فی ريعان الشباب دفاعاً عن الوطن وحريته *فالجواهری* وإن كان شيعياً ومن عائلة عريقه لكنه نسی شعبه وهمومهم وتغاضی عن ظلم الملوک، فالتمجيد والمدح للبعثيين فی شعر *الجواهری* يعود إلی الطبيعة المزاجية التی تمتاز بها شخصية فكثيراً ما كتب عنه فی العالم العربی وإيران يبرز فيه إنحياز وتقليد وتمجيد فی غير موضعه.

صحيح إنَّ *الجواهری* شاعرٌ كبير ولكن له عثرات لا تغتفر ولو قلنا أكثر قصائده فی مدح وتمجيد للملوک والرؤساء ربما كان لكسب الشهرة والتملق والأموال ككثير من الشعراء ما ظلمناه، ولا يخفی إن هناک عوامل لعبت دورها فی التعريف به وإشتهاره علی الملا وإذاعة صيته أهمها دور الحزب الشيوعی العراقی الذی زَمّر له كثيراً ومن ثم البعثيون فی حكمهم الأسود بالإضافة إلی الخلاعة والعری والمسخ السافر فی شعره فهو إباحی عانق النساء وعاقر الخمرة، ولم يقلع عن ذلک عند الكهولة وما تورع عن تناول الخمر حتی سكرات الموت يقول عن نفسه عند إشتراكه فی حفل غنائی أقيم للمغنية المصرية *أم كلثوم* فی العراق: «كنتُ أروم مكانا قصياً إعتزل فيه لأناغی نفسی بما ستشدو به *أم كلثوم* وإن أتناول من دون سائر الأشربة المتناسبة والمنسجمة مع هذا الحفل الفخم العرق العراقی»(الجواهری،۱۹۸۸م، ج ۱: ۴۳۳).

فقصائد *الجواهرى* تستبجد *بقاسم* وتحرضه على توقيع أحكام الموت كانت دعوته هذه منسجمة مع مواقف الشيوعيين الذين كانوا ينادون *قاسم* إعدم إعدم جيش وشعب يحميک كما وصف *عبدالكريم قاسم* بأب الأحرار، فأنشد له محاكاة لما تغنت له المغنيات *كمائده نزهت وأحلام وهبى*. إنَّ *الجواهرى* لم يواصل دراسته الحوزوية والاكاديمية. كان *للجواهرى* علاقات مع بعض قادة البعث المشؤوم أمثال *عبدالله سلوم السامرايى* وزير الإعلام و*شاذل طاقة* وزير خارجية البعث و*صالح مهدى عماش* نائب الرئيس ووزير الداخلية فخصص له البعثيون فى بداية عام ١٩٦٩ راتباً تقاعدياً وعندما قتل محمد ابن الرئيس *احمد حسن البكر* بحادث اصطدام سيارته نعاه *الجواهرى* بقصيدة طويلة مادحاً فيها الرئيس البعثى نشرت جريده الجمهورية البعثية قصيدته على صفحتها الأولى. *الجواهرى* الذى شاهد القمع البعثى للشعب العراقى لم يهزه ذالک.

لم تجد *للجواهرى* أى بيت شعر ينصر به الحركة الإسلامية ولا سيما فى العراق التى ناهضت البعثين وتعرضت قياداته للقتل والتنكيل والتعذيب والتشريد وعلى رأسهم *الإمام الشهيد محمد باقر الصدر(رض)* بالرغم من أن كثيراً من الشعراء حتى من غير المذهب الشيعى رثاه وبكى عليه، بل لم تجد له أى بيت شعر ينصر فيه الشعب العراقى ضد نظام *صدام* الغاشم صاحب المقابر الجماعية وذابح أطفال العراق بل أباد مدناً منها حلبچة الشهيدة وقصف سكانها بالأسلحة الكيميائية سوى قصيدة رائعة تحت عنوان «آمنت بالحسين(ع)» وأعتقد إنَّ فيها توفيقاً إلهياً مع الالتفات إلى انه قالها منذ شبابة حين كان معمماً فى الحوزة العلمية إنَّ *الجواهرى* خيب آمال أبيه وأسرته فابتعد الكثير من آل *الجواهرى* عنه وكان يشعرون بالخجل تجاه فأودع العمامة وعاقر الخمرة وغازل النساء فابتعد عن خط آبائه وأجداده.

سابقية البحث

عالج الكتاب والباحثون الكثير من شعر *الجواهرى* من زوايا مختلفة وتمت دراسات غير قليلة فى تحليل شعره ألا أنهم لم يتطرقوا حتى الآن إلى دراسة نقدية لشعره حول حزب البعث، ولم تجر دراسة نقدية مستقلة قائمة بذاتها فى هذا المجال، فإننى أرى عندما نبحث فى موضوع ما فإنَّ جهودنا بلا شک ستكون تكملة لجهود غيرنا وقد كتب الكثير

من قبلنا ومن بين هذه الدراسات على سبيل المثال: دراسة محمد *إعتمادی* بعنوان «الجواهری حياته، أسلوبه الشعری وخلفيتة الثقافية» وكتاب «محمد مهدی الجواهری دراسات نقدية» للباحث *العلوی* و«فلسطين فی شعر الجواهری» للباحث محمد حور ورغم وجود مثل هذه الدراسات فإنَّ الباحث على حد سعيه فی الوصول إلی الدراسات السابقة لم يجد بحثاً شاملاً حقيقياً لما سوف يتناوله فی هذا البحث.

مولده ونشأته ومدفنه

أبوفرات محمد مهدی بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ عبد علی بن الشيخ محمد حسن صاحب «جواهر الكلام»، أشهر مشاهير الشعراء فی العصر الحاضر إنتهت إليه إمارة الشعر بلا منازع.

تختلف الروايات فی التقدير الدقيق لتاريخ ولادة *الجواهری*، ومدار هذا الإختلاف بضع سنين؛ ولد *الجواهری* عام ۱۹۰۳م بمدينة النجف الأشرف أو عام ۱۹۰۱م والأول هو الأصح، ومما قيل أنه ولد عام ۱۸۹۹م أو ۱۹۰۰م، ويبدو أن منشأ هذه التقديرات يعود إلی عدم تصريح *الجواهری* نفسه بالتاريخ الدقيق لولادته، ولكن *الشيخ جعفر محبوبة* مؤلف كتاب «ماضی النجف وحاضرها» والذی يقول *الجواهری* عنه بأنه «صادق وثقة وكتابه قيم»، يقول أن *الجواهری* ولد ليلة السابع عشر من ربيع الأول سنة ۱۳۱۷ق فيجيب *الجواهری* بالإيجاب على أساس أن هذا التاريخ قد يرقی به بعد إلی ما بعد عام ۱۹۰۰م ومن الممكن إرجاع سبب الاختلاف إلی عملية تطبيق التاريخ الهجری على الميلادی وقواعد التحويل.

ولما كان *الجواهری* قد أيّد التاريخ الذی أثبته *جعفر محبوبة* أی عام ۱۳۱۷ هجری قمری فقد قال *الدكتور علی جواد طاهر*: «وكان الذی شجعه على الاستمرار فی التأييد جهلة الفرق بين السنة الميلادية والهجرية، وتصوره أن هذا التاريخ يرقی به إلی ما بعد عام ۱۹۰۰م»، ونرجع إلی قواعد تحويل الهجری إلی الميلادی وإلی الجداول العلمية المعترف بها فيظهر أنه ولد يوم الأربعاء السادس والعشرين من تموز ۱۸۹۹م، ويبدو أن هذا هو التاريخ الصحيح لما هو معروف من صدق *محبوبة* وتثبته وصلته بآل الجواهر ولصيغة تاريخ الولادة حتی لكأنه استقاها من أوثق المصادر، وكان من دابة أن يحتری

ويرجع إلى الأصول فلم لا يكون قد أخذه عن والد الشاعر نفسه ومهما يكن من تاريخ ولادته فقد ولد بالنجف الأشرف ونشأ ودرس فى الصحن العلوى(الجبورى، ١٩٩٣م: ١٠).

قال *الجواهرى*: «ولدت مع مولد هذا القرن المضطرب، كان البيت الذى وُلدتُ فيه ونشأت بقرب الصحن العلوى، ولذلک تفتحت أول ما تفتحت على هذه الفسيفساء الآدمية العجيبة، المتداخلة، المتعارضة، التى يضمها الصحن والحضرة والسور المرمرى الذى يحيطها»(الجواهرى، ١٩٩٨م، ج ١: ٣٥).

ولد محمد *مهدى الجواهرى* فى السنين الأولى من القرن العشرين من أسرة دينية؛ كان جده الأعلى *الشيخ محمد حسن* مرجع شيعة الإمامية فيعهده وكتابه المشهور «جواهر الكلام» الذى اقتبست الأسرة لقبها منه(العلوى، ١٩٦٩م: ١٩)، طلع *الجواهرى* على القرن العشرين من بيت أسواره الدين والمذهب، وأعمدته العلم والثقافة والأدب ومن مدينة بيئتها الدين وظواهرها التحفظ والالتزام ومحيطها بحار من كتب الاستدلال والجدل والفلسفة والأحكام ورجالها علماء، فقهاء، مراجع التقليد، شعراء وأدباء، ومن بلد تتكالب عليه القوى الإستعمارية.

إرتشف محمد مهدى مناهل الأدب و اللغة و الفلسفة، فدرس «الأجرومية» و «قطر الندي» و «ألفية ابن مالک» و «مغنى اللبيب» و «شرح النظام فى الصرف» و «الحاشية للملا عبدالله» و «شروح الشمسية فيالمنطق» و «المطول و المختصر فى البلاغة» و «شرح اللمعة» و «مكاسب الشيخ الأنصارى»(الجبورى، ١٩٩٣م: ١٠).

نشأ *الجواهرى* على والده العالم الأديب، قرأ مقدماته الأولية على أخيه عبد *العزيز والشيخ على الشرقى*. الحساب على *السيد أبى القاسم الخوانسارى* والبيان والمعانى على *الشيخ مهدى ظالمى والشيخ على ثامر* وحفظ الفقه وأصوله *على سيد موسى الجصانى والسيد حسين الحمامى*(الفتلاوى، ١٩٩٩م: ٦١٣). هذا كله وهو لم يشتد عوده بعد بل لايزال فى الخطوة الأولى لعبور العقد الأول من عمره.

أما طفولة *الجواهرى* فله معها شأن، فقد عاش طفولة يلعب فيها دور الكبار صغير فى قالب الكبير، صبى يطلب منه أن يدع الصبابة والطفولة ويعيش عالم الخبراء الكبار، أليس فى الأمر مغامرة حقاً! نشأ فى كنف والده الفقيه والأديب الذى لازم إبنة ملازمة خاصة وعنى به عناية الأب والأستاذ والمرشد، ولن يفارقه حتى وافاه الأجل عام ١٩١٧م.

والظاهر أن الالتزام الغير طبيعی من *الشيخ عبدالحسين* لإبنه *مهدی* أن دلّ علی شیء، فإنما يدل على التشخيص الدقيق لنبوغ *الجواهری* والإهتمام البالغ بمستقبله وهو صبی وحسب. والحق أن الشيخ لم يكن متوهماً أبداً فی هذا وإن كان أمله فی إبنه غير ما آل إليه *محمد مهدی الجواهری*. قال *الجواهری*: «بعد وفاة والدی إنفردت بشخصی وتفردت بشخصيتی، مثلما ينبغی لكل مخلوق قبل ذلک كنت مجرد ظل له ولوصايته المحكمة علیّ»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٨٥).

لقد دفع *الجواهری* ثمناً باهضاً لطفولته تلک كما قال: «وقد أتعبتنی السنوات العشر الأولی منها أكثر من العشرات التی تلتها، فإليها تعود العقد، والرواسب، واختلاط الحسنات بالسيئات أختلاطاً يصعب علیَّ وأنا صاحبه أن أجد له مبرراً غير أن أعود القهقری إلی هذه المرحلة، التی حكمت كل حياتی التالية وغالباً ما كانت ذكرياتی عن الفترة مديرة وكثيراً ما اختلطت هذه المرارة بالسخرية»(المصدر السابق: ٣٩).

درس *الجواهری* فی المدرسة العلوية فی مسقط رأسه، ثم أخذ علومة فی اللغة والأب عن *محمد علی المظفر* و*علی ثامر* وغيرهم من مشايخ الغری، ونبغ فی الشعر قبل أن يبلغ الحلم(بصری، لا تا: ١٨٠).

الشاب المتمرد

إذا كان *الجواهری* قد خسر طفولته ودفع ثمناً غاليا لمرارة أيام حملته واقعاً خاصاً، كان طبيعياً أن يسود روحه طابعاً متمرداً يجره نحو التطرف بين الحين والآخر، والأمر من ذلک أن هذا الطابع المتمرد قد سكن كيانه ولازمه حتی خارج مراحل شبابه بل فی عمره كله.

وهو القائل: «أننی أعيش مرارة تلک الأيام حتی الآن، وكانت السبب فی كل هفواتی وسقطاتی اللاحقة بدافع طموحات لم أخلق لها»(الجواهری، ١٩٩٨م، ج ١: ٤٩).

كان والده *الشيخ عبدالحسين الجواهری* حريصاً جداً على متابعة إبنه *مهدی* لدروسه وحضوره معه، وإستصحابه إلى مجالس العلماء الكبار، ليدفعه دفعاً عجولاً نحو عالم الشيوخ وفی هذا المجال يقول *الجواهری*: «كانت سنوات حياتی، خلال ذلک تختصر قسراً إلی شهور، بل أسابيع وقد حملت إلی سنوات حياتی اللاحقة، تبعات كل تلک الفترة التی

سرقت منى، حملتها بكل تناقضاتها ومفارقاتها حيث انعكست على حياتى وشعرى بل وعلى تعاملى مع الناس ومن معى، دائماً كان هذا الطفل الذى انتزعت منه طفولته يخرج من جديد بشكل ما مشاكساً عنيداً غافلاً متغفلاً متناقضاً مبلبلاً، وكان الطفل يفلت حالماً ينتهى من امتحاناته اليومية الرهيبة ليخرج وقد أطلق سراحه الى الزقاق فى وقت متأخر من النهار يكون فيه الأطفال قد شبعوا لعباً وعادوا أو أوشكوا أن يعودوا الى بيوتهم»(الجواهرى، ١٩٩٨م، ج ١: ٥٤).

ويبدو أن هذا الإجحافات أو الخيبة التى كان يراها *الجواهرى* فى التعامل القسرى، بالنسبة له قد أدت به إلى نمو ورشد نزعة التمرد والتناقض لديه فى سنين شبابه، ومن ثم فى بقية عهود حياته.

فلقد تمرد ابتداءً على «الملة أم جاسم» فى كتابها، ومن ثم من حلقات دروس جناب عالى، وبعدها المدرسة العلوية والثانوية وكان تمرده الى حد البغض والفرار.

ولم يكن *الجواهرى* بالذى يرضى بطفولة كطفولته، ولا بصبوة كصبوبة مما دفعه بالتالى فى عنفوان شبابه النزوع نحو الخلاص من هذه القيود، وهذه الزنزانات التى تهضم حقوقه فى الطفولة والشباب، ليصل إلى عهد يصف فيه نفسه وعمامته التى ألبسوه بها: «حتى لكأننى أصبحت أبن جلا وطلاع الثنايا»، والمقصود "بابن جلا وطلاع الثنايا" *الحجاج بن يوسف الثقفى* والى الكوفة.

لقد رأى *الجواهرى* التمرد لنفسه طريقاً وسلوكاً لم يكن بإمكانه الخلاص منه، وان كان يريد ذلک لقد عاش كبيراً وهو صبى، وعاش حياة الصغار وهو شيخ كبير تجاوز الثمانين، وهذه المفارقات وسمات التناقض الذى كان يملأ حياته. وقد قال: «عشت حياة عاصفة، اختلطت فيها عوالم بعوالم، الفقه بالشعر، والشعر بالسياسة، والسياسة بالصحافة والصحافة بالحب والحب بالصداقات والبؤس بالنعيم والتوطن بالترحل والطفولة بالرجولة» (الجواهرى، ١٩٩٨م، ج ١٤).

لقد أريد للرجل أن يجعل فقيهاً نابهاً يعيد المجد الغابر(لصاحب «الجواهر»)، لكنه بمجرد التنفيس، ليعلن التمرد عليى كل الواقع المؤذى لطبعه وكيانه، لذلک لم يحقق أمل والده فى التمرس بالفقاهة وتطرف فى هذا تطرفاً علنياً وثار ثورته الكبري علي التزمت الذى كان يمقته فى محيطه، وأودع العمامة جانباً وخرج أفندياً متطرفاً يحمل

بهجومه ليحتل المواقع واحد بعد الآخر ويمسک بزمام الأوضاع فی محيطه الثوری الجديد، الذی أستطاع أن يخلق لنفسه معتقداً أن أيام القفص الحديدی قد ولّی دون رجعة وعليه بنا قفصاً ذهبيا يفتقد ببابه سجان لا يزهد بمفتاح قفصه وجاءت طلقاته قوية وقاتلة فی قصائد «جربينی» و«الرجعيون» لتجر بعدها طلقات أقوی و أخطر. ولنقرأ له أين أودع العمامة وبهذه السرعة الخاطفة إذ قال فی قصيدة «النزعة»:

قال لی صاحبی الظريف وفی الكفـ		ـفِ ارتعاش وفی اللسان إنحباسه
أيـن غادرت عمةً واحتفاظاً		قلت: إنی طرحتها فی الكناسة
صاحبی لا ترعک خسة دهر		كم نفوس شريفة حساسة

(الجواهری، ۱۹۸۶م: ۸۱)

وقال فی قصيدة «الرجعيون»:

ستبقی طويلاً هذه الأزمات إذا لم تقصر عمرها الصدمات
سيبقی طويلاً يحمل الشعب مكرهاً مساوی من أبقت الفترات
علی باب شيخ المسلمين تكدست جياع علتهم ذلة وعراة

(الجواهری، ۱۹۸۶م: ۸۴)

ويفتح *الجواهری* صفحات التحدی بمسارات عديدة تتراوح بالإفراط والتطرف فی مراحل، وبالرجوع والعودة إلی التراث البيئی مراحل أخری. يبدو أن الجواهری فی عهود تطرفه وإفراطه الساخر بكل شیء. أوضع ما يقال لوصف الحالة هو أنه أدرج ثورته وتمرده علی واقعه بالتحرک من التحفظ إلی التحرر، أو بالأحری التحرک من مسار أقصی اليمين نحو أقصی اليسار.

وفاته ومدفنه

فی يوم الأحد ۱۹۹۷/۷/۲۷م رحل محمد *مهدی الجواهری*، الذی وافته المنية عن عمر بلغ ثمانية وتسعين عاماً بدمشق العاصمة السورية بعد عشرين عاماً من الإقامة فيها، وقد شيعت دمشق جثمانه بانطلاق مسيرة ضخمة، تقدمها نائب الرئيس السوری ممثلاً عن الرئيس *حافظ الأسد* ورئيس مجلس الوزراء *عبدالقادر قدورة* وعائلة الفقيد وشخصيات سياسية وثقافية وجمهرة غفيرة من العراقيين المنفيين، وقد إخترقت المسيرة شوارع

دمشق فى طريقها إلى مقبرة الغرباء فى حى *السيدة زينب(ع)* حيث ترقد زوجته أم كفاح (جريدة الاتحاد، ٢٠٠٠م، العدد ٣٩٤).

لقد واكب التناقض حياة *الجواهرى* حتى فى مماته، أليس من عجب العجاب أن يتولد *الجواهرى* فى بيت مجاور لأعظم مقبرة فى الدنيا(وادى السلام) يمر عليها *الجواهرى* فى كل فرصة، وحين عشرات ومئات المرات ذاهباً وآيباً آحاداً واجتماعاً ليلاً كان أو نهاراً وأن يدفن فى مماته، بعيداً عن وادى النجف بعيداً عن مقابر آل *الجواهرى* وبعيداً عن مقابر الأنبياء والأولياء.

الجواهرى وحزب البعث

كان *للجواهرى* علاقات ودّيّة مع أركان وقيادات حزب البعث الدكتاتورى والذى جرى الويل والثبار للعراق والعراقيين، وقتل خيرة أبناء العراق من العلماء والشخصيات العلمية، يقول فى *صالح مهدى عماش* القائد البعثى قصيدة يظهر فيها ما يكنّه *لعماش* من تقدير ومحبة وودّ:

أ «أبَا هُدى» شوقُ يُلجّ ولا ... عجٌ يذكى الشِعافا
شوق المبارح لم يغيـ ... ـره البعادُ، ولا تجافى
يا منتج الدرر الحسانِ معانياً غراً ظِرافا
يقطرن إبداعا، وايـ ... ـثار، وحباً، وانتصافا

(جليل عطيه، ١٩٨٨م: ١٣٠)

كما أهدى *الجواهرى* نسخة من ديوانه «بريد الغربة» إلى صديقه شاذل طاقة وهو شاعر شغل فى السبيعينات(فى ظل حكم البعث الأسود) منصب وزير الخارجية وكانت كلمة الأهداء ابيات اخوانية رقيقة هى:

سلمتَ أبا نوافٍ الشهم إنها ... نهارٌ وليلٌ يوسعان بنا اكلا
اقول لها مهلاً وأعلم أنها ... إلى طيّة تخشى مغبّتُها عجلى
سنبقى رسوماً بعدها مثلما محت ... سمومُ الرياح الهوج من روضةٍ شكلا
على أننى مُلفٍ عزاءً بماجدٍ ... كمثلك يضفى الحبّ والنبل والفضلا

(المصدر السابق: ١٣٠- ١٣١)

خصص له النظام البعثی راتباً تقاعدیاً یوازی مرتبات الوزراء، ونصبوه رئیساً لاتحاد الأدباء العراقیین ورأس وفود الإتحاد، فعند عودته فی ظل الحکم البعثی إلی بغداد فی اوائل تشرین الثانی ١٩٦٨م اعدوا له حفلاً فی مطعم شهریار بمنطقة صدر القناة وألقیت فیه کلمات وقصائد ترحب بعودته إلی الوطن وألقی هو بدوره قصیدته مطلعها:

ارح رکابک من أین ومن عَثِر — کفاک جیلان محمولاً علی خَطرٍ
کفاک موحش درب رحت تقطعه — کأن مغبرة لیل بلا سحر
ویا أخا الطیر فی ورد وفی صدر — فی کل یوم له عش علی شجر

(الجواهری، ٢٠٠٨م، ج٥: ٨٨٨)

الجواهری ینشد *لصدام حسین وأحمد حسن البکر*. یقول:

أبا «هیثم» یا موسع الناس حلمَه — أفاءَ علیهم ظلَّه وتَحدّبا
ویا ابن «الحسین» الفذّ شهماً صَمَیدَعاً — مَهیباً، وثُوباً قبلَ أن یتوثَّبا
ویا ذارة «الصفَّین» قُطراً، وأمةً — یربّونَ من مجدیهما ما تأشَّبا

(الجواهری، ٢٠٠٨م، ج٧: ١٠٥٨)

حزب البعث وقادته فی قصیدة طویلة للجواهری

مدح *الجواهری* قادة البعث السفاکین بقصیدة طویلة عدد أبیاتها ٨٢ بیتاً یقول فیها:

تَغَن بـ«تموّز» فتموّز ماردٌ — تخطّی عقیمات العصور وأتعَبا
نَعِمتُم صباحاً قادة «البعث» أصیداً — یُسدّدُ خَطوَ الصیدِ منکم وأغلبا

(نفس المصدر: ١٠٥٦)

لقاء صدام حسین والجواهری

کتب *الدکتور جلیل العطیة* عن هذا اللقاء قائلاً: «حدثنی فرات محمد *مهدی الجواهری* ان *صدام حسین*- وکان یشغل منصب نائب رئیس مجلس قیادة الثورة اتصل بالشاعر فی الیوم الثانی لنشر قصیدته فی رثاء محمد *البکر* وبعد سلام وعتاب الحّ علیه أن یستضیفه، وفی الیوم الثانی أمضی *الجواهری* نهاراً کاملاً فی ضیافته. بعد أن أرسل له سیارة فخمة دون أن یعرف أحد المکان الذی ذهب إلیه الشاعر، تمت الضیافة فی مزرعة الرضوانیة...

فی ذلک اللقاء استدعی *صدام حسین* أمین العاصمة وأهاب به ضرورة الاستعجال باستملاک قطعة الأرض النسی منحتها الحکومة العراقیة للشاعر فی منطقة الصلیخ علی ضفة دجلة ومساحتها ٥٥٠ متراً... وعرض علی الشاعر بناء الدار... لکن *الجواهری* اعتذر وفی الختام ترسل الحکومة شیکاً مفتوحاً لتشیید الدار لم ولن یُستخدم. کان لقاء الرضوانیة هو الأخیر بین *الجواهری* و*صدام حسین*»(جلیل العطیة، ١٩٨٨م: ١٣٧).

وعندما ما اعتنی به *صدام حسین* بعد أن حاول *الجواهری* الاتصال *بصدام* لمرات غادر العراق لیعود إلی منفاه کتب *الدکتور جلیل العطیّة* فی هذا الصدد: «... ویتحامل *الجواهری* ابن الثمانین عاماً لیحاول... اتصل بالأرقام الهاتفیة المباشرة التی سلّمها له السید النائب (*صدام حسین*) ولکنه یجابه برد متجاهل یجعله یغضب، فیحزم حقائبه لیعود إلی المنفی... ویستقر به المقام فی دمشق»(المصدر السابق: ١٣٩).

الجواهری یمجد البعثیین والبعث

فی عام ١٩٧٤م ألقی قصیدته «سلمت ثورة.. وبورک عید.. عید نیسان» فی المهرجان الذی أقامته قیادة حزب البعث المشؤوم بمناسبة ذکری تأسیس حزب البعث منها:

سَلِمت ثورة وبورک عیدُ ... وتعالَت جموعکم والحُشود
وزکت ساحة من المجدِ تُعلی ... جانبیها معاصم وزُنودُ
أیُّها المبدعون یحیون نیسا ... ناً جدیداً تَرِفُّ فیه الورود
یوم «نیسان» أنت للبعث عید ... والتفافُ الصفوف حولک عیدُ

(دیوان الجواهری، ٢٠٠٨م، ج٦: ٩٥٠-٩٥٣)

الجواهری واحمد حسن البکر

أنشد *الجواهری* قصیدة من ثمانیة وستین بیتاً نشرتها جریدة الجمهوریة البعثیة فی ١٩٧٨م بعد أن قتل *محمد احمد حسن البکر* و*بنات مولود* فی حادث سیارة، کان العراقیون یتهامسون آنذاک بأن تلک الحادثة مدبرة من قبل *صدام حسین*.

کتب *الدکتور جلیل العطیة* قائلاً: «روی لی *شفیق الکمالی*(احد قیادی حزب البعث) أن *أحمد حسن البکر* اتصل به ذات مرة وأخبره أن *محمداً* - ابنه- معجب جداً *بالجواهری*

ویرید التعرف إلیه شخصیاً وقد فعل ذلک، والتقطت صور بالمناسبة شکلت البوما کاملاً. سُرّ *الجواهری* بزیارة نجل رئیس الدولة، یأتیه حاملاً هدایا ویطلب الیه التوقیع علی دواوینه... تکررت زیارات الشاب بلا مراسیم... وذات یوم ربیعی من ایام ١٩٧٨م تُعلن فجأة وفاة الشاب *محمد احمد حسن البکر* فی حادث سیارة.... هزت وفاة *محمد احمد حسن البکر* وجدان *الجواهری* فنظم قصیدة لامیة تتکون من ثمانیة وستین بیتاً نشرتها جریدة الجمهوریة فی عددها المرقم ١٣٢٣١ الصادر فی ٢٩ آذر ١٩٧٨م»(جلیل عطیة، ١٩٨٨م: ١٣٣-١٣٤).

قصیدة الجواهری فی رثاء *محمد احمد حسن البکر*، منها:

تعجّل بِشَر طلعتک الأفولُ وغال شبابکَ الموعود غُولُ
فلا تبعد «محمدٌ» المزکّی دعاء محاول ما یستحیلُ

(نفس المصدر: ١٣٧ـ١٣٦)

الجواهری والحرکة الاسلامیة المعاصرة

لم تجد *للجواهری* أی بیت شعر ینصر به الحرکة الاسلامیة ولاسیما فی العراق التی ناهضت البعثیین وتعرضت قیاداته للقتل والتنکیل والتعذیب والتشرید، وعلی رأسهم *الامام الشهید محمد باقر الصدر(رض)* بالرغم من أن کثیراً من الشعراء حتی من غیر المذهب الشیعی رثاه وبکی علیه، بل لم تجد له أی بیت ینصر فیه الشعب العراقی ضد نظام *صدام* الغاشم صاحب المقابر الجماعیة وذابح اطفال العراق بل أباد مدناً منها حلبچة الشهیدة وقصف سکانها بالأسلحة الکیمیائیة.

نستطیع أن نقول بصراحه انک لم تجد له بیت ینصر به الدین او المذهب، بل لم تجد له موقفاً مشرفاً تجاه آل البیت(ع) بالرغم من بلوغ قصائده إلی المئات مادحاً الطغاة والملوک ومتغزلاً بالغانیات والعاهرات. وإذا استثنینا موقفین لم تجد له موقفاً مشرفاً، والموقفان هما القصیدة الرائعة تحت عنوان «آمنت بالحسین(ع)» الذی کتب منها خمسة عشر بیتاً بماء الذهب علی الباب الرئیسی لمرقد سید الشهداء(ع) الذی یقول فیها:

شممتُ ثراک فهب النسیم نسیم الکرامة من بلقع

(الجواهری، ٢٠٠٨م، ج ٣: ٤٩١)

يقول *الشهيد محمد صادق الصدر* عن *الجواهرى* فى كتابه «اضواء على ثورة الامام الحسين(ع)»: «بالرغم من أن *محمد مهدى الجواهرى* دنيوى أيضاً وفاسد فى عقيدته وسلوكه، ومناصر للملحدين فى شعره، وكذلك فإن ديوانه يحتوى على كثير من الغزل لمعشوقات أوروبيات أحبهن ونظم فيهن، كما أن فيه قصيدة صغيرة فى ذم الحوزة العلمية، وينسب إليها الكبائر والفضائح. وبالرغم من كلّ ذلك فإن قصيدته فى *الحسين(ع)* وخاصة المقطع الأول منها، هى خير شعره، كما أنها خير ما قيل فى *الحسين(ع)* على الطريقة الفكرية الحديثة. وأعتقد أن فيها توفيقاً إلهياً مع الإلتفات إلى أنه قالها: منذ شبابه حين كان معمماً فى الحوزة ولم يكن متدنساً بالآثام التى طرأت عليه بعد ذلک؛ ولعل خير ما فيها قوله:

كأن يدأ من وراء الضريح — حمراء مبتورة الإصبع
تمد إلى عالم بالخنوع — والذل فى شرف متزع
لتبدل منه جذب الضمير — بآخر معشوشب ممرع

(ديوان الجواهرى، ٢٠٠٨م، ج٣: ٤٩١)

والبيت الأول منها يعطى صورة خيالية جبارة ليد *الحسين(ع)* اليمنى المبتورة الإصبع والمخضبة بالدماء.

وواضح أيضاً من الأبيات أنه يمجد *الحسين(ع)* باتجاه دنيوى لإصلاح وإحياء الضمائر الميتة، ورفع المظالم من المجتمع. ليس فيه شمة إلهية أو أخروية، كما أنه ليس فيه اتجاه الى البكاء والتفجع، إلا ما يأتى عرضاً ولكن جانب الإخلاص والعاطفة فيه موجودة أكيداً، فى مثل قوله:

وماذا أعظم من أن يكون — لحمک وقفاً على المبضع
وتطعم للموت خير البنين — من الأكهلين إلى الرّضع

(المصدر السابق: ٤٩١)

وعلى أى حال فمن الواضح أن *الحسين(ع)* يفهمه كل شخص بمقدار مستواه وثقافته وقناعته، وأى من ذلک حصل كان خيراً ونعمة. وكان مؤثراً فى ايجاد الهمة نحو التمرد على الظلم والتضحية بالنفس والنفيس، فى سبيل إيجاد العدل حسب اختلاف مستويات إدراک هذا العدل»(الصدر، ١٤٢٧ق، ج٦: ١١٩-١١٨).

نتيجة البحث

بعد هذا الاستعراض لجوانب الموضوع يمكننا أن تشير إلى بيان أهم النتائج المستخلصه من هذه الدراسة وهی كالآتی.

كان *للجواهری* صلة وثيقة بقيادات حرب البعث ومدح *احمد حسن البكر* و*صدام* حسين بأكثر من قصيدة.

كان *الجواهری* مخالفاً للتيار الإسلامی فی توجهاته.

سقط *الجواهری* فی مستنقع الجنس وهاجم العلماء والحوزة العلمية ظلماً.

لم يكن *الجواهری* ملتزماً يدافع عن الشعب العراقی ضد البعثين الكفرة.

كان *الجواهری* يدافع ويزمر للشيوعيين والبعثيين و*عبدالكريم قاسم*.

لم يكن *الجواهری* قريباً من الحركه الاسلامية المعاصرة وقياداتها ولاسيما *الشهيد محمد باقر الصدر(قدس سره)*.

أنشد *الجواهری* قصائد عديدة للملوک والرؤساء.

المدح والتمجيد فی شعر *الجواهری* يعود إلى طبيعته المزاجية التی تمتاز بها شخصيه.

المصادر والمراجع

الجبوری، عبدالله. لا تا، **الجواهری نظرات فی شعره وحیاته**، لا مک: لا نا.

الجواهری، محمد مهدی. ۱۹۸۸م، **ذکریاتی**، الطبعة الأولی، دمشق: دار الرافدین.

الجواهری، محمد مهدی. ۲۰۰۸م، **دیوان الجواهری**، بغداد: دار الحریة للطباعة والنشر.

الخطیب، ابن النجف. لا تا، **تاریخ الحرکة الاسلامیة المعاصرة فی العراق**، بیروت: دار المقدسی.

العطیة، جلیل. ۱۹۹۸م، **الجواهری شاعر فی القرن العشرین**، لا مک: منشورات الجمل.

العلوی، حسن. ۱۹۸۳م، **عبدالکریم قاسم، رؤیة بعد العشرین**، لندن: منشورات دار الزوراء.

العلوی، حسن. لا تا، **الشیعة والدولة القومیة فی العراق**، لا مک: دار الثقافة للطباعة والنشر.

Bibliography

algaburi . abdollah. Algavaheri nazarat fe sheereh wa hayatehi

algavaheri mohamad mehdi . zekreyati . demashgh . dar alrafedain . altabat alola. 1988

alatiah . jalil . allgavaheri . shaer fe algharn aleshrin . manshorat aljamal.1998

alkhatib . ebn alnajaf . tarikh alharakat aleslameyeh almaasereh fe aleraq. Bairot . daralmaghdesi

diwan aljavaheri . bagdad . dar alhoriiah leltebaat va alnashr 2008

alalavi . hasan . abdalkarim ghasem roya bad aleshrin . manshorat daralzawra. Landan 1983

alalavi . hasan . alshia va aldowlah alghomayah fe aleraq . dar alseghafa leltebaat va alnashr